حياة الأثر في القرآن الكريم والسنة النبوية

دراسة تأصيلية موضوعية

Life of Impact in the Holy Quran and the Prophetic Sunnah: An Objective Foundational Study

نجيب محمد محب الدرب[1]

Najeeb Mohammed Moheeb Aldarb

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.88

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد.

عنوان المراسلة : najeeb4aldarb@gmail.com

الملخص:

هذا البحث الموسوم بـ(**حياة الأثر في القرآن الكريم والسنة النبوية ... دراسة تأصيلية موضوعية**) يقدم دراسة تأصيلية موضوعية لمفهوم "**حياة الأثر**" في القرآن الكريم والسنة النبوية، مسلطًا الضوء على العلاقة بين حياة الأثر وحياة القدر. يهدف الباحث إلى تأصيل مفهوم حياة الأثر، وتوضيح أهميتها في الرؤية الإسلامية للحياة الإنسانية بشكلٍ عام؛ وأهميتها كمحطة محورية في مسيرة الإنسان الروحية والأخلاقية، وكيف أنها تتجاوز حدود الزمان والمكان؛ لتستمر حتى قيام الساعة. اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، معتمدًا على جمع وتحليل ودراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بحياة الأثر، ومن ثم استخلاص الدروس والهدايات والدلالات العملية منها. وأبرز البحث كيف أنَّ الأعمال الصالحة تترك أثرًا يدوم ويستمر لما بعد الموت، مؤكدًا على أن الخلود الأبدي هو في الآخرة وأن الدنيا محطة مؤقتة في رحلة الإنسان نحو الخلود. ويخلص البحث إلى أن حياة الأثر تشمل آثار الحسنات والسيئات، وأن الإنسان بأثره الصالح يبلغ مبلغًا عظيمًا ومكانة رفيعة، عند الله تعالى. وفي ختام البحث، يوصي الباحث بإنشاء وقف إسلامي باسم "**وقف حياة الأثر**"، كمبادرة عالمية؛ لتشجيع المسلمين على صناعة آثار صالحة ومستمرة، ويحث الباحثين والمهتمين بالتربية والتزكية على دراسة هذا المفهوم العميق، وتوجيه الآخرين للاهتمام به، نظرًا لأهميته البالغة في تنمية الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: حياة الأثر، حياة القدر، الهدايات القرآنية، التأثير الإنساني.

Abstract:

This research presents an objective foundational study of the concept of "Life of Impact" within the Holy Quran and the Prophetic Sunnah. It highlights the relationship between the life of impact and the life of destiny. The research aims to establish the concept of the life of impact and elucidate its significance within the Islamic perspective of human life in general; emphasizing its pivotal role in the spiritual and ethical journey of an individual, and how it transcends the confines of time and space to persist until the end of time. In this study, the researcher employs an inductive, descriptive-analytical approach, relying on the collection, analysis, and examination of the relevant Quranic verses and authentic Prophetic hadiths related to the life of impact, subsequently deriving practical lessons, guidance, and implications from them. The research underscores how righteous deeds leave a lasting and enduring impact beyond death, affirming that eternal life is in the hereafter and that the worldly life is a temporary station in the human quest for eternity. The study concludes that the life of impact encompasses the effects of both good deeds and misdeeds, and that an individual, through their positive impact, can achieve a great extent and a lofty status in the sight of Almighty Allah. In conclusion, the researcher recommends the establishment of an Islamic endowment named "The Endowment of the Life of Impact" as a global initiative to encourage Muslims to create lasting positive impacts. The researcher also urges educators and those interested in moral and spiritual development to study this profound concept and guide others to value it because of its utmost importance in the development of the individual and society.

Keywords: Life of Impact, Life of Destiny, Quranic Guidance, Human Influence.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد: فيعتبر الزمن من المفاهيم الأساسية في الوجود الإنساني الدنيوي، حيث يُحدد إطار حياة الإنسان منذ ولادته، وحتى وفاته. هذه الفترة المحدودة، التي نُطلق عليها "حياة القدر"، مقدرة ومحتومة بأجل مسمى، لا يتغير بتقديم و لا بتأخير، كما يشير إلى ذلك قولهَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل [61].

من جهة أخرى، تُشير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى وجود حياة أخرى متزامنة مع حياة القدر؛ لكنها لا تنتهي بانتهائها؛ بل تستمر حتى قيام الساعة، ونطلق عليها "حياة الأثر"، وهي حياة ممتدة، تتجاوز حدود الزمان والمكان، ويُسجل فيها كل ما قدمه الإنسان من أعمال وآثار، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس [12]

وبما أن حياة القدر محدودة، كما رُوي: "أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ، إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ"[1]. فقد أرشدنا القرآن إلى الاهتمام بحياة الأثر والتخطيط لها من الآن، كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الحشر [18]. فالحياة الحقيقية هي في الدار الآخرة:﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت [64]. فيجب الاستثمار لحياة الخلود الأبدية من الآن، قبل أن يتندم الإنسان، ولا ينفع الندم:﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ الفجر [24].

وعليه: فقد اخترت هذا العنوان: "**حياة الأثر في القرآن الكريم والسنة النبوية ... دراسة تأصيلية موضوعية**"؛ كونه يعد موضوعًا جديداً ومهمًا، يستحق البحث والدراسة.

ولعرض هذا الموضوع في قالب علمي ومنهجي، يجمع بين التأصيل والتحليل، قسمته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه: (2/ 1415) برقم: (4236). والترمذي في سننه:(5/ 553) برقم: (3550). والحاكم في المستدرك: (2/ 463) برقم: (3598). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الألباني: "والصواب أنه حسن لذاته، صحيح لغيره". السلسلة الصحيحة: (2/ 386-385) برقم: (757).

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجيته.

التمهيد: وفيه، مفهوم الأثر في اللغة والاصطلاح، ومفهوم حياة القدر وحياة الأثر، والفرق بينهما، والعلاقة بين حياة القدر وحياة الأثر، ومراحل حياة الإنسان والعوالم التي يمر بها.

المبحث الأول: دراسة وتحليل الأدلة المتضمنة لحياة الأثر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دراسة وتحليل الأدلة المتضمنة لحياة الأثر في السنة النبوية.

المبحث الثالث: دراسة وتحليل أدلة اشتمال الأثر على الحسنات والسيئات في القرآن والسنة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ودراسته من نواح عدة، منها:

1- قيمته العلمية؛ حيث يقدم رؤية تأصيلية لحياة الأثر؛ بناء على ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة؛ يمكن الاستفادة منها في الدعوة والتربية والقدوة.

2- كون الموضوع لم يدرس من قبل – حسب علم الباحث، مع كثرة بحثه في المصادر والمراجع- مما سيساهم في إثراء المكتبة الإسلامية.

3- أنه يساعد على تقديم مفهوم عميق، يتعلق بالوجود الإنساني والمصير الأخروي، مما يساعد على تحقيق حياة متوازنة، تراعي الأبعاد الدنيوية والأخروية.

4- أنه يشجع على تبني سلوكيات إيجابية، وترك أثر طيب في المجتمع؛ مما يعزز القيم الإنسانية والأخلاقية.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتمثل مشكلة الدراسة في الحاجة إلى فهم أعمق، وتأصيل شرعي لمفهوم حياة الأثر؛ وفق الرؤية الإسلامية، بناء على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وللتوضيح أكثر يمكن أن نصيغ المشكلة في الأسئلة التالية:

1- ما الفرق بين حياة الأثر وحياة القدر، وما العلاقة بينهما؟

2- ما أهمية الأثر وأنواعه، وما مدى تأثيرها على حياة الإنسان الدنيوية والأخروية؟

3- ما الأدلة المبينة لمفهوم حياة الأثر في القرآن الكريم والسنة النبوية؟

4- ما الهدايات والدلالات المستنبطة من الأدلة؛ لبيان التطبيق العملي لحياة الأثر؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1- تقديم تأصيل علمي وشرعي لمفهوم حياة الأثر، مستندًا إلى الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، بناء على ما فهمه وفسره السلف الصالح، ووفق منهجهم في الاستدلال.

2- بيان مفهوم حياة القدر وحياة الأثر، والعلاقة بينهما. مع تقديم رؤية واضحة لحياة الأثر، كمحطة محورية في مسيرة الإنسان الروحية، وفق المنظور الكلي للمراحل والعوالم التي يمر بها الإنسان، حتى الاستقرار في دار الخلود.

3- بيان أهمية الأثر، وبيان أنواعه مع توضيح تأثيره المستمر الذي يتجاوز الزمان والمكان.

4- استنباط واستخلاص الهدايات والدلالات -المتعلقة بمفهوم حياة الأثر- من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة؛ ليسهل تطبيقها في الحياة العملية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية لهذا البحث تقتصر على تأصيل مفهوم حياة الأثر في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، من خلال جمع ودراسة وتحليل ما يتعلق منها بحياة الأثر، واستنباط الهدايات والدلالات واستخلاصها منها.

منهجية البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك وفق ما يلي:

- جمع ودراسة وتحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بحياة الأثر.

- كتابة الآيات القرآنية، وفق الرسم العثماني المضبوط على رواية حفص عن عاصم، مع ترقيمها، وعزوها إلى سورها، داخل المتن تخفيفاً للحواشي.

- تخريج الأحاديث النبوية من مصادر السنة المعتمدة وعزوها إلى مصادرها، فإن كان الحديث في

الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به لصحتهما، وإن لم يكن فيهما فإنّي أُخرّجُه من مظانِّه، بذكر اسم الكتاب مختصراً مع بيان رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث، والحكم على الحديث ما أمكن. وقد اعتمدت على الأحاديث الصحيحة.

– اتباع منهجية تحليلية للآيات القرآنية تشمل: أولاً، عرض الآية القرآنية ذات الصلة؛ ثانياً، تفسير المعنى العام للآية بشكلٍ موجز، مستخلصاً معناها من أبرز التفاسير وأشهرها؛ ثالثاً، استنباط واستخلاص الهدايات والدلالات العملية التي تُعطي إرشادات حول بناء إرث مؤثر ومستدام.

– اتباع منهجية تحليلية للأحاديث النبوية، تشمل: أولاً، عرض الحديث الصحيح وتخريجه – وقد اقتصر الباحث في التأصيل على الأحاديث الصحيحة فقط، أما جميع الأحاديث فكثيرة ويطول حصرها– ثانياً: شرح المعنى العام للحديث بشكل مختصر ومستخلص، معتمدًا في ذلك على مجموعة من الشروحات الحديثية؛ ثالثاً: استنباط الهدايات والدلالات العملية التي تُسهم في تطبيق الأحاديث في سياقات حياتية متنوعة.

– لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم؛ تخفيفاً للحاشية، وكذا الحال بالنسبة للفهارس وغيرها.

التمهيد:

وفيه يستعرض الباحث مفهوم الأثر في اللغة ومفهوم حياة القدر وحياة الأثر، والعلاقة بينهما، مع ذكر العوالم والمراحل التي يمر بها الإنسان؛ حتى يستقر به المقام في دار الخلود الأبدي.

مفهوم الأثر في اللغة والاصطلاح:

الأثر في اللغة: بقية الشيء؛ أو ما بقي من رسم الشيء[2]، قال ابن فارس: أثر؛ "له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي" [3]، وهو ما يظهر من علامات أو دلائل تُشير إلى وجود أو حدوث شيء ما. ويُستخدم الأثر للإشارة إلى ما يتبقى من الأشياء بعد زوالها أو تغيرها، سواء كانت هذه البقايا مادية، كأثر القدم في الطين، أو معنوية، كأثر الحديث والسنن. والأثر: الأجل؛ وسمِّي به؛ لأنه يتبع العمر[4]، والأثر: الخبر. والأثر: العلامة ولمعان السيف[5].

و**الفرق بين الأثر والعلامة**: "أن أثر الشيء يكون بعده، وعلامته تكون قبله، تقول: الغيوم والرياح

(2) ينظر: العين: (8/ 236–237). المحكم والمحيط الأعظم: (10/ 173). لسان العرب: (4/ 5).
(3) مقاييس اللغة: (1/ 53).
(4) ينظر: لسان العرب: (4/ 5). تاج العروس: (10/ 22).
(5) ينظر: تاج العروس: (10/ 12)، (10/ 22). المعجم الوسيط: (1/ 5).

علامات المطر، ومدافع السيول آثار المطر" [6].

الأثر في الاصطلاح: لا يخرج استعمال لفظ (الأثر) عن المعاني اللغوية، ويستعمل للدلالة على ثلاثة معان: قال الجرجاني: "الأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء"[7]. أو ما يترتب على الشيء. وقيل: "والثالث: بمعنى الخبر"[8]، ويُستخدم مصطلح الأثر للإشارة إلى النتائج أو التبعات المترتبة على الأفعال أو الأقوال، ويُطلق أيضًا على الأحاديث والروايات التي تُنقل عن الأشخاص، وخاصةً المروية عن النبي- صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام.

مفهوم حياة القدر وحياة الأثر والفرق بينهما:

حياة القدر وحياة الأثر هما مفهومان يتناولان الوجود الإنساني من منظورين مختلفين، فأما حياة القدر، فتشير إلى الفترة الزمنية المحدودة التي يعيشها الإنسان في الحياة الدنيا منذ ولادته وحتى وفاته، وتتضمن كافة الأحداث والظروف التي يمر بها الإنسان، وكافة الأفعال التي يقوم بها، والقرارات التي يتخذها. وتعتبر حياة القدر بهذا المفهوم حياة حسية، محدودة بالزمان والمكان.

أما حياة الأثر، فهي تلازم حياة القدر في الدنيا، لكنها لا تتوقف بالموت؛ بل تمتد إلى البعث والحساب، ويستمر تأثيرها على الإنسان بعد موته؛ حيث تستمر الأعمال والأقوال والأفكار التي تركها الإنسان بعد رحيله، تؤثر على الآخرين سلباً أو إيجاباً، وسيحاسب الإنسان على جميع آثاره يوم القيامة. وتعتبر حياة الأثر بهذا المفهوم حياة معنوية، تحمل أبعاداً أخروية، كما تركز حياة الأثر على الإرث الذي يتركه الإنسان وراءه، والذي يحمل قيمة أبدية. فهو مسؤول عن تأثير أعماله التي تتجاوز حدود حياته الزمنية، وتُعد هذه الحياة هدفاً أسمى للإنسان المسلم، من خلالها يصنع إرثاً صالحاً، يتجاوز وجوده الحسي.

العلاقة بين حياة القدر وحياة الأثر:

تعتبر العلاقة بين حياة الأثر وحياة القدر، علاقة تكاملية وتبادلية؛ حيث يخدم كل منها الآخر، ويستفيد منه، فهي علاقة لتحقيق هدفٍ واحدٍ في نفس الاتجاه والمسار، وتبنى على اجتهادات الإنسان واختياراته؛ لكن حياة الأثر أعمق، وقد يتحصل منها الإنسان على عوائد لم يكن يفكر فيها مطلقاً، ولذا فإن أهميتها كبيرة جداً في كسب الأجر وصناعة الأثر.

وتعتمد حياة الأثر على الاختيارات والقرارات التي يتخذها الإنسان، وتتأثر بتفاعلاته مع العالم المحيط

(6) معجم الفروق اللغوية: (15).
(7) التعريفات: (9).
(8) التعريفات الفقهية: (16).

به، وتحتاج إلى التخطيط، واتخاذ القرارات الحكيمة والمدروسة. كما تتطلب من الإنسان السعي لتحقيق الأهداف، والإسهام في الخير والنفع للآخرين، فهي حياة تتميز بالعطاء والإنجازات الكبيرة التي تؤثر إيجاباً على الآخرين، وتجعلهم يتذكرون الإنسان بخير بعد رحيله.

مراحل حياة الإنسان والعوالم التي يمر بها:

إن الإنسان في رحلته الوجودية يمر بعوالم متعددة، معظمها موثق في القرآن والسنة – ما الحياة الدنيا في الحقيقة إلا محطة من المحطات التي يمر بها الإنسان في حياته الممتدة إلى الخلود الأبدي– هذه العوالم تتجاوز الإدراك الحسي، فالإنسان ليس ابن هذا العالَم فحسب وإنما هو ابن عوالم سابقة تقلّب فيها، وسيتقلّب في عوالم أخرى بعد أن ينتهي من هذه الدنيا حتى وصوله إلى عالم الخلود.

يبدأ الإنسان رحلته من عالم الأرواح، مرورًا بعالم الذر، وعالم التراب والطين، وعالم الأصلاب، ومروراً بعالم الأجنة في الأرحام، وصولًا إلى الحياة الدنيا، ومن ثم ينتقل إلى عالم البرزخ، يليه عالم القيامة والبعث، وأخيرًا عالم الخلود الأبدي في الجنة أو النار. هذه العوالم التسعة تشبه مراحل النمو الإنساني؛ حيث يتغير حال الإنسان ومكانته في كل مرحلة، كما يغير ثيابه بحسب المكان والزمان، هذه العوالم تتطلب دراسة معمقة لفهم جميع جوانبها، من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لكننا نكتفي هنا بهذا الإيجاز.

المبحث الأول: دراسة وتحليل الأدلة المتضمنة لحياة الأثر في القرآن الكريم.

هذا المبحث يستقصي الأدلة القرآنية التي تبرز مفهوم حياة الأثر، وتم الاستشهاد بأربع آيات تُعدُّ محورية في الموضوع، وتُلقي الضوء على أهمية الأعمال والآثار التي يتركها الإنسان خلفه.

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس [12].

والمعنى: أن الله تعالى يحيي الموتى عند البعث، ويكتب كل ما قدموا من الأعمال التي باشروها بأنفسهم في حياتهم الدنيا من خير أو شر، ويكتب آثار أعمالهم في حياتهم وبعد وفاتهم، أي كل ما خلّفوه وراءهم من آثار صالحة أو فاسدة من الأموال والأولاد وسائر الآثار، وكل ما سنّوه من سنة حسنة أو سيئة، وكل ما أَوْرَثُوا من الهدى أو الضلالة، فاقتدى بهم من بعدهم؛ فلهم مثل أجورهم، أو عليهم مثل أوزارهم من غير أن ينقص منه شيئاً[9].

(9) ينظر: الكشف والبيان: (22/ 258). تفسير البغوي: (4/ 7). التيسير في التفسير: (12/ 341). تفسير

قال عامة أهل التأويل: نكتب ما قدموا وآثارهم، وما أسلفوا في حياتهم، وعملوه، ونكتب أيضًا آثارهم، وهو ما سنوا من سنة من خير أو شر، فاقتُدي بهم من بعد موتهم[10].

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

– تدل الآية على أن العبد مؤاخذ بما عمله مباشرة، وبما عمله غيره، وكان من آثار عمله.

– وفيها أن على العاقل، وقد علم أنه محاسب عن أفعاله، وكذا آثار أفعاله وأقواله ألّا يفعل فعلاً ولا يقول قولًا، حتى ينظر في عواقبه، فقد يقول القول مرة، ويفعل الفعل مرة، ثم يقتدي به فيه آلاف عديدة في أزمنة متطاولة، والسعيد من ماتت معه سيئاته[11].

– وفيها فائدة جليلة، وهي أن الله يكتب ما عملوه، وما تولد من أعمالهم؛ فيكون المتولد عنها، كأنهم عملوه في الخير والشر، وهو أثر أعمالهم؛ فآثارهم هي آثار أعمالهم المتولدة عنها[12].

– وفيها دلالة على إحصاء كل الأعمال المباشرة وغير المباشرة، كل ما عملوه وباشروه بأنفسهم، وكل ما عمله غيرهم إذا كان متسبباً عن أعمالهم وأثراً لها[13].

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ الإنفطار [5].

والمعنى: أن كل نفس تعلم ما قدمت من عملها الذي انقطع بانقطاع حياتها، من أعمال صالحة أو سيئة، وما أخّرت وراءها بعد موتها، من سنن حسنة أو سيئة؛ إذا عُمِل بما أخرته من السنن الصالحة وأعمال الخير، فله مثل أجر من عمل بها، ولن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا. وإذا عُمِل بما أخرته من السنن السيئة وأعمال الشر، فعليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا[14].

قال الطبري: "وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه، لأن كل ما عمِل العبد من خير أو شر، فهو مما قدّمه،

الكشاف: (4/ 7). البحر المحيط في التفسير: (9/ 47). تفسير ابن كثير: (6/ 502). المحرر الوجيز: (4/ 448). الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (5/ 7).

(10) ينظر: تأويلات أهل السنة: (8/ 508-507).

(11) ينظر: آثار ابن باديس: (2/ 88).

(12) ينظر: شفاء العليل: (40).

(13) ينظر: تفسير ابن باديس: (306). آثار ابن باديس: (2/ 86).

(14) ينظر: جامع البيان: (24/ 177-175). معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (5/ 295). تفسير ابن أبي حاتم: (10/ 3408). تأويلات أهل السنة: (10/ 444). تفسير القرآن العزيز: (5/ 103). درة التنزيل وغرة التأويل: (1/ 1340-1339). تفسير البغوي: (5/ 219). التسهيل لعلوم التنزيل: (2/ 458).

وأن ما ضيع من حق الله عليه، وفرّط فيه فلم يعمله، فهو مما قد قدّم من شر، وليس ذلك مما أخّر من العمل، لأن العمل هو ما عمله، فأما ما لم يعمله، فإنما هو سيئة قدمها، فلذلك قلنا: ما أخّر: هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره"[15].

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

- تشير هذه الآية إلى يوم القيامة حين يُحاسب الإنسان على ما قدّم وأخّر من أعماله.

- وفيها دلالة على أن العمل بالسنن الصالحة، يكون سببًا للفوز والنجاة، بينما ترك السنن الصالحة، يؤدي إلى الشقاوة والعذاب.

- على العاقل بعد أن علم أهمية الأثر وفاعليته واستمراره أن يبادر ويشارك في صناعة الآثار الحسنة، في كل ما يقدر عليه في ميادين الخير المتعددة، وأن يولي هذا الأمر اهتماماته.

الدليل الثالث:

قوله تعالى:﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ ﴾ القيامة [13].

والمعنى: أن الإنسان سيُخبر يوم القيامة بجميع أعماله، سواء كانت قديمةً أو حديثةً، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها. فحين يُحاسب الإنسان على أعماله؛ سيُبيّن له ما قدَّم من أعماله، وما أخَّر من آثاره بعد مماته، سواء كانت طاعاتٍ أو معاصٍ. إذا عُمِل بما أخّره من السنن الصالحة، فله مثل أجر من عمل بها، ولن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، وما أخّره من السنن السيئة، فهو مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا[16].

قال الطبري -بعد أن عدد المعاني والأقوال-: "والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكل ما قدم أمامه، مما عمل من خير أو شر في حياته، وأخر بعده من سنة حسنة أو سيئة، مما قدم وأخر، كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر، وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعه، فلم يعمله مما قدم وأخر، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض، فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة"[17].

---

(15) جامع البيان: (24/ 177).

(16) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: (364). جامع البيان: (23/ 488). التفسير البسيط: (22/ 491). التيسير في التفسير: (15/ 117). تفسير حدائق الروح والريحان: (23/ 488). تفسير ابن باديس: (307). أضواء البيان: (6/ 717). تفسير الكشاف: (4/ 7).

(17) جامع البيان: (23/ 491).

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

– فيها دلالة على أن كل ما عمله الإنسان مسجل عليه وموثق في كتاب، يستوي في ذلك ما قدم مباشرًا له، وما أخّر مما عُمِل به بعده مما سنَّه من هدى أو ضلال[18].

– وفيها دلالة على أن العبد مؤاخذ بما عمل مباشرة، وما عمله غيره، وكان من آثار عمله، فالذي أخره، هو أثره المذكور في هذه الآية[19].

الدليل الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الشعراء [84].

والمعنى: أي اجعل لي ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً وصالحاً، وقبولاً عامًّا باقياً إلى آخر الدهر فيمن يجيء من بعدي، أي في جميع القرون والأمم والملأ، فأعطاه الله ذلك، فما من أهل دين على اختلافهم إلا وهم يتولونه ويثنون عليه، وإنما أراد بالثناء الحسن، لكي يقتدوا به، فيكون له مثل أجر من اقتدى به[20].

وقيل: فيه ثلاثة أقاويل، أحدها: ثناء حسناً في الأمم كلها، قاله مجاهد، وقتادة، وجعله لساناً؛ لأنه يكون باللسان. الثاني: أن يؤمن به أهل كل ملة، قاله ليث بن أبي سليم. الثالث: أن يجعل من ولده من يقول بالحق بعده، قاله علي بن عيسى. ويحتمل رابعاً: أن يكون مصدقاً في جمع الملل، وقد أجيب إليه[21].

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

– تشير إلى أهمية الترغيب في العمل الصالح الذي يُكسب الإنسان ثناءً حسنًا وذكرًا جميلًا. و"في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن"[22].

– وفيها دلالة على أن لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً، قال أشهب سألنا مالكاً عن قوله

﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ، قال لا بأس أن يحب الرجل الثناء الحسن إذا خلصت فيه النية[23].

(18) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: (3/ 439).
(19) ينظر: تفسير ابن باديس: (307).
(20) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (3/ 269-270). تفسير التستري: (115). جامع البيان: (17/ 593-594). تأويلات أهل السنة: (8/ 64). بحر العلوم: (2/ 557). الكشف والبيان: (20/ 76).
(21) ينظر: النكت والعيون: (4/ 177).
(22) أحكام القرآن لابن العربي: (3/ 458-459).
(23) ينظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: (1078).

– الثناء الحسن يُعدُّ مرغوبًا فيه إذا كان يهدف إلى النفع والإصلاح، دون تعالٍ أو استطالة على الناس[24].

– الذكر الجميل يُعتبر أفضل من الحياة نفسها؛ لأنه يستمر وينتشر في كل مكان وزمان، ويُعدُّ اللسان أداةً مهمةً في تحقيق ذلك، مما يُبرز أهمية حفظ اللسان، واستعماله في الخير فقط.

المبحث الثاني: دراسة وتحليل الأدلة المتضمنة لحياة الأثر في السنة النبوية.

في هذا المبحث، يتناول الباحث الأدلة الحديثية التي تُسلط الضوء على مفهوم حياة الأثر، مع الاستشهاد بسبعة أحاديث صحيحة، معظمها مروية في صحيحي البخاري ومسلم، وكلها تبين أن الأعمال الصالحة تترك أثرًا ممتداً، وتبين أن الإنسان يمكن أن يستمر في كسب الثواب من خلال أعمال معينة حتى بعد وفاته؛ كما أن الأعمال الصالحة لا تقتصر على الفائدة الشخصية فحسب، بل تمتد لتشمل الآخرين وتتعدى حدود الزمان.

الدليل الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال:" "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[25].

والمعنى: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ)، أي: إذا مات الإنسان لا يكتب له بعد موته أجر وثواب؛ لأن الأجر جزاء العمل الصالح، والعملُ ينقطعُ بموتِ الرَّجل، إلا إذا فعل فعلًا في الحياة يدوم خيره، وإذا كان كذلك يلحقه أجره، وذلك في ثلاثة أشياء: أحدها: الصدقة الجارية (إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ)، وهي وَقْفُ أرضٍ أو دارٍ على المسلمين، أو على شخصٍ واحدٍ، أو بناءُ مسجدٍ، أو مدرسةٍ أو رباطٍ، أو حفرُ بئرٍ، وغير ذلك مما ينتفع به الناس. والثاني: العلم الذي ينتفع به (أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ)؛ يعني: يعلِّمُ أحدًا أو جماعة مسألة أو أكثر من أحكام الدين، فيعملون بتلك المسألة، ويعلمونها غيرهم من المسلمين، فيحصل له بذلك ثواب، وكذلك إذا صنف كتابًا، والثالث: ولد صالح يدعو له بعد موته (أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)، واعلم: أنه من ترك ولدًا صالحًا يحصل له من ذلك الولد ثوابٌ كل لحظة، سواء يدعو له الولد أو لا يدعو؛ لأن الولد كلما عمل عملًا صالحًا، أو تلفظ بتسبيح يحصل لأبيه ثواب؛ لأن الولد كشجرةٍ مثمرة، فكما أن من غرس شجرة مثمرة يحصل له ثواب بأكل تلك الثمرة، سواء يدعو آكلها للغارس أو لا يدعو، فكذلك الأب كالغارس، والولد الصالح كالشجرة المثمرة[26].

---

(24) ينظر: زهرة التفاسير: (10/ 5370).
(25) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1255) برقم: (1631).
(26) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: (5/ 373). المفاتيح في شرح المصابيح: (1/303-305).

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- يشير الحديث إلى أن الأعمال تنقطع بموت الإنسان، ولا يُكتب له أجر أو ثواب بعد ذلك، إلا في فعل دائم الخير، مستمر النفع؛ منه هذه الأمور الثلاثة، التي يستمر نفعها بعد الموت.

- يؤكد الحديث على أهمية الأعمال التي يستمر نفعها للآخرين، وتعتبر الصدقة الجارية من الأعمال التي تستمر في إثمار الأجر بعد الموت، كوقف الأراضي، أو بناء المساجد والمدارس، وغيرها، وفيه دليل على جواز الوقف والحبس؛ لأن الصدقة الجارية بعد الموت إنما تكون بالوقوف[27].

- يعد تعليم العلم أو تأليف الكتب التي يستفيد منها الناس عملاً مستمر الأجر، فكلما خلفه الإنسان من تعليم، أو تصنيف، أو رواية، داخل في العلم المنتفع به، "وقال بعضهم: حمله على التأليف أقوى؛ لأنه أطول مدة وأبقى على ممر الزمان"[28].

- يشجع على تربية الأبناء تربية صالحة، فالولد الصالح يُعد سببًا لاستمرار الأجر، ويشبّه بشجرة مثمرة تثمر الثواب لمن غرسها. "وفائدة التقييد بالولد مع أن غيره لو دعا لنفعه، تحريض للولد على الدعاء، وأنه كالواجب عليه"[29]. "فكما أن الأب يحصل له ثواب من الولد، فكذلك الأم يحصل لها ثواب من ولدها؛ بل ثوابها أكثر؛ لأن حقَّها على الولد أكثر"[30].

الدليل الثاني:

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهَرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ"[31].

والمعنى: أي: إن من الذي (يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ) من عطف الخاصّ على العامّ، عطفه عليه؛ ليبيّن أن المراد أعماله الحسنة؛ إذ المراد بلحوقها إياه انتفاعه بثوابها، وأما الأعمال السيّئة، وإن لحقته، لكنه لا ينتفع بها (عِلْمًا عَلِمَهُ، ولفظ ابن ماجه: عِلْمًا عَلَّمَهُ) بتدريسه وتعليمه للناس؛ (وَنَشَرَهُ) بالتصنيف، والكتابة، ونحو ذلك.

(27) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: (5/ 373).
(28) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (1/ 306).
(29) المصدر السابق: (1/ 306).
(30) المفاتيح في شرح المصابيح: (1/303-305).
(31) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: (4/ 121) برقم: (٢٤٩٠). وابن ماجه في سننه: (1/ 88) برقم: (٢٤٢). إسناد حسن أكثر رجاله رجال الصحيح. ينظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: (7 / 101).

(أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، لفظ ابن ماجه: وَوَلَدًا)- وأو للتنويع والتفصيل، وليست للشك من الراوي- عَدُّ الولد من العمل والتعليم صحيح وحسن؛ لأن الوالد سبب في وجوده، وسبب في صلاحه بإرشاده إلى الهدى، كما جُعل نفس العمل في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود [46]. ولأنه صلى الله عليه وسلم جعله من كسب الرجل: ''إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ''[32]، فسماه كسبًا (صَالِحًا) قيّده به؛ لأن الصالح هو الذي تستجاب دعوته، وتقبل أعماله، (تَرَكَهُ)، أي بقي حيّا بعد موته، وعند ابن ماجه: (وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ) من التوريث، أي تركه إرثًا لمن بعده، وهذا مع ما بعده من قبيل الصدقة الجارية حقيقةً، أو حكمًا، فهذا الحديث كالتفصيل لحديث: ''إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ''، (أَوْ) للتنويع والتفصيل، (مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ)، أي: للمسافر، سمّي به؛ لملازمته للسبيل (أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ، ولفظ ابن ماجه: أَجْرَاهُ)، (أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ، فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ)، أي أخرجها في زمان كمال حاله، ووفور افتقاره إلى ماله، وتمكّنه من الانتفاع به، وهذا على سبيل الأفضليّة، وإلا فكون الصدقة جارية لا يتوقّف على ذلك. (تَلْحَقُهُ، ولفظ ابن ماجه: يَلْحَقُهُ)، الضمير للأشياء السابقة، باعتبار المذكور (مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)، أي يلحقه ثواب هذه الأشياء بعد موته، والله تعالى أعلم[33].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- فيه دلالة على أن العلم الذي يُعلمه الإنسان للآخرين، وينتشر بين الناس، يُعتبر من الأعمال التي يستمر ثوابها، حتى بعد وفاة المعلم.

- ويدل على أنه إذا ترك الإنسان ولدًا صالحًا يدعو له، ويقوم بأعمال صالحة، فإن ذلك يُعد من الأعمال التي تنفع الإنسان بعد موته.

- وفيه دلالة على أن ترك المصحف للورثة أو للناس- وكذا بناء المساجد- يُعتبر صدقة جارية، والصدقة التي يُخرجها الإنسان من ماله في حياته، تُعتبر من الأعمال التي يستمر ثوابها.

- ويُشير الحديث أيضًا إلى أهمية الإنفاق في سبيل الله، والتشجيع على الأعمال التي تُعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

(**32**) أخرجه أحمد في مسنده: (40/ 34) برقم: (٢٤٠٣١)، (41/ 429) برقم: (٢٤٩٥٧)، (43/ 38) برقم: (٢٥٨٤٥). وابن ماجه في سننه: (2/ 723) برقم: (٢١٣٧). والنسائي في السنن الكبرى: (6/ 7) برقم: (٦٠٠٣). هذا الحديث صحيح. ينظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: (8 / 308).

(**33**) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه: (1/ 106). مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه: (4/ 435-436).

الدليل الثالث:

عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ''أَرْبَعٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: رَجُلٌ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ عَلَّمَ عِلْمًا، فَأَجْرُهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا عُمِلَ بِهِ، وَرَجُلٌ أَجْرَى صَدَقَةً، فَأَجْرُهَا يَجْرِي عَلَيْهِ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ''[34].

والمعنى: (أَرْبَعٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ)، أي: أربعة أصناف لَا يَنْقَطِع ثَوَاب أَعْمَالهم بموتهم؛ بل تجري عليهم أجور أعمالهم، كما كانت تجري، وهم يعملونها أحياء، الصنف الأول: (رَجُلٌ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ)، أي: كل إنسان مسلم مات حال كونه ملازماً ثغر العدوّ بقصد الذبّ عن المسلمين، وسبيل الله عام يقع في كل عمل خالص يسلك به طريق التقرب إلى الله بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات، وإذا أطلق فهو واقع على الجهاد؛ حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه، والصنف الثاني: (وَرَجُلٌ عَلَّمَ عِلْمًا، فَأَجْرُهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا عُمِلَ بِهِ)، أي: كل إنسان مسلم علِم علماً وعلّمه غيره، ثم مات، فيجري عليه ثوابه مدة دوام ما عمل العاملون به بعده، الصنف الثالث: (وَرَجُلٌ أَجْرَى صَدَقَةً، فَأَجْرُهَا يَجْرِي عَلَيْهِ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ)، أي: كل إنسان مسلم تصدق بصدقة جارية كوقف أو غيره، فأجرها يجري عليه ما وجدت وبقيت، الصنف الرابع: (وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ)، أي: كل إنسان مسلم ترك فرعاً مسلماً ذكراً أو أنثى، فهو يدعو له بالرحمة والمغفرة؛ فدعاؤه أسرع قبولاً من دعاء الأجنبي[35].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- يُشير الحديث إلى فضل المرابطة في سبيل الله، وأن ثواب هذا العمل يستمر حتى بعد الموت، مما يُعد تكريمًا للجهود المبذولة في الدفاع عن الدين والأمة.

- ويُؤكد على أهمية نشر العلم، وأن ثواب تعليمه يستمر للمعلم طالما استُفيد من هذا العلم.

- يُعلمنا الحديث أن الصدقة الجارية تُعد استثمارًا للمؤمن في الآخرة، حيث يستمر ثوابها طالما استفاد منها الناس.

- يُشير الحديث إلى أهمية تربية الأولاد على الصلاح، وأن دعاء الولد الصالح لوالديه يُعد من الأعمال التي تدوم وتُحتسب للوالدين بعد وفاتهم.

(**34**) أخرجه أحمد في مسنده: (36/ 656) برقم: (22319). التعليق: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي له عن أبي أمامة. وقال الألباني: رواه الإمام أحمد والبزار، والطبراني في ''الكبير'' و''الأوسط''، وهو صحيح مفرقاً من حديث غير ما واحد من الصحابة، رضي الله عنهم. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب: (1/ 157).

(**35**) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: (1/ 140)، السراج المنير شرح الجامع الصغير: (1/ 191)، التنوير شرح الجامع الصغير: (2/ 273-274).

الدليل الرابع:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: ''مَا عِنْدِي''. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم-: ''مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ''[36].

هذا حديث عظيم من جوامع الكلم، يدل على أن من أرشد غيره إلى خير أو دلّه على هدى كان له من الأجر مثل ما للفاعل، وهذا يشمل الدعوة بالقول؛ كالتعليم والموعظة والإفتاء، والدعوة بالفعل، وهي القدوة الحسنة؛ لأن الذي يُقتدى به إذا فعل شيئًا أو ترك شيئًا تبعه الناس، فكأنه بهذا الصنيع دعا الناس إلى فعله أو تركه، وقد دلَّ على هذا المعنى قوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران [110]. وقد فهم سلف هذه الأمة من هذه الآية أن الخيرية قد حصلت للأمة؛ لكونهم أنفع الناس للناس، وذلك بدلالة الناس على الخير، وتحذيرهم من ضده[37].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- استنبط ابن حبّان في صحيحه من الحديث: ''أن المؤذن يكون له مثل أجر من صلى بأذانه؛ لأنه دعاه إلى ذلك''[38].

- ويدل الحديث على فضيلة الدلالة على الخير، وأن ثواب الدلالة كثواب الفعل، فالدلالة على الخير يؤجَرُ بها الدالُّ عليه، كأجْرِ فاعل الخير[39].

- وفيه دلالة على أن من دل على خير، سواء أكان من خير الدنيا، أو خير الآخرة: أن له من الأجر مثل أجر من فعل، من غير أن ينقص من أجر المقتدى به شيء، وإنما هو أُجِرَ؛ بسبب كونه قدوة في الخير، وأسوة في عمل الإحسان.

- وفيه دلالة على أن العلم النافع من أفضل الأعمال الصالحة التي يتعدى نفعها، وتبقى ثمارها، فمن نشر هذا العلم، فقد ضرب بسهم وافر من القدوة الحسنة، والدلالة على الصراط المستقيم، ونال بهذا عظيم الأجر من الله تعالى[40].

(36) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1506) برقم: (1893).
(37) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: (10/ 130).
(38) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: (6/ 327)، وينظر أيضاً: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: (2/ 57).
(39) ينظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام: (10/ 227). سبل السلام شرح بلوغ المرام: (8/ 181).
(40) ينظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام: (7/ 349).

- ويدل على أن الإنسان إذالم يتمكن من تحقيق رغبة السائل، فإنه يدله على من يمكنه أن يحقق رغبته[41].

- ومن هذه الأدلة وغيرها قرر المحققون -من أهل العلم في أبواب المفاضلة بين الأعمال- تفضيل الأعمال المتعدية على الأعمال القاصرة؛ وذلك لما يحصل بالأعمال المتعدية من عموم النفع، ولما يحصل بها من استمرار الأجر، فإن صاحب النفع لا ينقطع عمله، ما دام نفعه الذي نُسب إليه، وهذه وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومن اقتدى بهم من الدعاة المخلصين[42].

- ينبغي للمسلم- ولا سيما طالب العلم- أن يحرص على الدلالة على الخير، ودعوة الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم؛ ولكن ينبغي أن يعلم أن التنويه بأهمية العمل المتعدي لا يعني إغفال العمل القاصر، أو التقليل من شأنه؛ لأن هذا الفهم أدّى إلى خللٍ عند بعض طلاب العلم، فأهمل التعبد الخاص والعناية بخاصة أهله وأولاده؛ بحجة الانشغال بالدعوة وتعليم العلم، والتوسط هو الحق، وهو المسلك الرشيد، تأمل قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ الذاريات [16]، وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، وإحسانهم إلى عباد الله، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ الذاريات [19-17]، فسمى الله العبادة إحسانًا، وبدأ بالإحسان إلى النفس، ونوَّه به في آيتين، ثم نوَّه بالإحسان إلى الغير في آية واحدة، والله تعالى أعلم[43].

الدليل الخامس:

عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[44].

وفي لفظ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صدقة، وما سرق له منه صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ"[45].

والمعنى: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا)، أي: كل مسلم يغرس غرساً، أيّ غرس مما يغرسه الناس، أو يزرع زرعاً، أيّ زرع مما يزرعه الناس، سواء كان لهذا الزرع أو الغرس ثمر أم لم يكن له ثمر، (فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ)، أي: فيأكل من ذلك الزرع أو الغرس أيّ طير من أنواع الطيور، (أَوْ إِنْسَانٌ)، أي: ويأكل من

(41) ينظر: شرح سنن أبي داود للعباد: (582/ 20).
(42) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: (10/ 129).
(43) ينظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام: (10/ 129).
(44) أخرجه البخاري في صحيحه: (2/ 817) برقم: (2195). ومسلم في صحيحه: (3/ 1189) برقم: (1553)، (3/ 1188) برقم: (1552)، (3/ 1189) برقم: (1552).
(45) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1188) برقم: (1552).

ذلك الغرس أو الزرع أيّ إنسان، (أَوْ بَهِيمَةٌ، ولفظ مسلم: وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ)، أي: ويأكل من ذلك الزرع أو الغرس أيّ بهيمة من البهائم، أو دابّة من دواب الأرض، أو أيّ شيء من مخلوقات الله تعالى، (إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)، أي: إلا كان للمسلم صدقة وأجر في كل ما أخذ منه، سواء كان باختياره، أو بدون اختياره، (وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ) -كما في لفظ مسلم- يعني: لا ينقصه، ويأخذ منه. وظاهره: أنه ولو باعه يبقى له الأجر، سواء كان محتسبًا، أو غير محتسب، فإذا احتسب - بشرط أن يكون مسلمًا- صار له أجر الاحتساب أيضًا؛ مثل المنفق إذا أنفق على أهله له أجر، وإذا احتسب، صار له أجر آخر هو أجر الاحتساب[46].

قال النووي: "في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع، وأن أجر فاعلي ذلك مستمر مادام الغراس والزرع، وما تولد منه إلى يوم القيامة؛ وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها، فقيل: التجارة، وقيل: الصنعة باليد، وقيل: الزراعة، وهو الصحيح وقد بسطت إيضاحه في آخر باب الأطعمة من شرح المهذب، وفي هذه الأحاديث أيضًا أن الثواب والأجر في الآخرة مختص بالمسلمين، وأن الإنسان يثاب على ما سرق من ماله أو أتلفته دابة أو طائر، ونحوهما"[47].

ولقد بلغ من حث الشريعة على الزرع، والحرص عليه حتى آخر لحظة من الحياة[48] أن قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا"[49].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- فيه دلالة على فضيلة الغرس والزراعة، ويُبين أن للمسلم أجرًا وثوابًا في كل ما ينتفع به الخلق من زرعه أو غرسه، سواء كان ذلك الانتفاع بالأكل أو الاستظلال أو غيره، وأجر ذلك مستمر حتى بعد موت الإنسان، ما دام الناس والحيوانات ينتفعون بما زرع أو غرس[50].

- فإذا غرس الإنسان هذا الغرس وفي نيته أنه يستفيد منه ويفيد غيره؛ فكل من يستفيد منه، سواءٌ أكان مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أراد أن يصل إليه أو لم يرد، -ككونه يعطي الفقراء والمساكين، أو تأتي الحيوانات، وتأكل منه- فإنه يحصل الأجر على ذلك[51].

- وفي الحديث من الفقه أن الله تعالى يحتسب للعبد أعمال البر مضاعفة وبما ينتهي إليه، وكل ما يبلغ

(46) ينظر: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم: (4/ 340). شرح النووي على مسلم: (10/ 213).
(47) شرح النووي على مسلم: (10/ 213).
(48) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم: (6/ 265).
(49) أخرجه أحمد في مسنده: (20/ 296) برقم: (12981)، حكم الألباني: صحيح.
(50) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح: (5/ 202).
(51) ينظر: شرح الأربعين النووية للعباد: (2/ 17).

من مبالغها، فإن من غرس شجرة كان له ثواب كل من أكل منها، واستظل بظلها، أو اهتدى في الطريق بها، أو غير ذلك، فكذلك إذا زرع زرعاً[52].

– وفيه أيضاً أنه إن أكل من ذلك آدمي حُسِب بذلك صدقة؛ وكذلك إن أكل منه طائر أو بهيمة؛ لأن الكل خلق الله تعالى[53].

الدليل السادس:

عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : ''مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ''[54].

والمعنى: أن قوله: (مَنْ تَصَدَّقَ، وفي لفظ مسلم: مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ، وفي لفظ لمسلم: لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ)، والصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله، على وجه القربة، كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة، إذا تحرى صاحبها الصدق في فعلها، وقوله: (بِعَدْلِ تَمْرَةٍ) بِكَسْر الْعين: هُوَ مَا عَادل الشَّيْء من غير جنسه، وبالفتح مَا عادله من جنسه، وَقَالَ الْخطابِيّ: بِعدْل تَمْرَة، أَي: قيمَة تَمْرَة، يُقَال: هَذَا عدله، بِفَتْح الْعين، أَي: مثله فِي الْقيمَة، وبكسرها، أَي مثله فِي المنظر. والمعنى: من تصدق بقدر تمرة، أو بقيمتها، وقوله: (مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وفي لفظ مسلم: مِنْ طَيِّبٍ)، أَي: حَلَال، وَهِي صفة مُمَيزَة لعدل تَمْرَة؛ ليمتاز الْكسْب الْخَبِيث الْحَرَام، وقوله: (وَلَا يقبل الله إِلَّا الطّيب، ولفظ البخاري: وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ)، جملَة مُعْتَرضَة وَارِدَة على سَبِيل الْحصْر بَين الشَّرْط وَالْجَزَاء؛ تَأْكِيدًا وتقريراً للمطلوب فِي النَّفَقَة، وقوله: (وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ولفظ البخاري: فَإِنَّ اللَّهَ يتقبَّلها بِيَمِينِهِ، ولفظ مسلم: إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ، وفي لفظ لمسلم: إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً)، وهو تعبير يدل على القبول والرضا، وقوله: (ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِا، ولفظ مسلم: فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ)، أي: ينميها ويزيدها، وَقَوله: (كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، ولفظ مسلم: فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، وفي لفظ لمسلم: أَوْ قَلُوصَهُ)، والقلوص: هي الناقة الفتية، ولا يطلق على الذكر، والفلو: المهْر الصغير، وهما يدلان على النمو والتربية، وضرب الْمثل؛ لِأَنَّهُ يزِيد زِيَادَة بيّنَة، فَكَذَلِك الصَّدَقَة نتاج الْعَمَل، فَإِذا كَانَت من حَلَال لَا يزَال نظر الله إِلَيْهَا؛ حَتَّى تنْتَهِي بالتضعيف إِلَى أَن تصير التمرة كالجبل، وَهُوَ معنى قوله: (حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، ولفظ مسلم: حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أو أعظم، وفي لفظ لمسلم: حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ)، قَالَ الدَّاودِيّ: أَي: كمن تصدق بِمثل الْجَبَل، وتربية الصَّدقَات، مضاعفة الْأجر عَلَيْهَا، وَإِن أُرِيد

(52) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح: (5/ 202).
(53) المصدر السابق: (5/ 202).
(54) أخرجه البخاري في صحيحه: (2/ 511) برقم: (1344)، (6/ 2702) برقم: (6993). ومسلم في صحيحه: (2/ 702) برقم: (1014)، بألفاظ متعددة.

بِهِ الزِّيَادَة فِي كمية عينهَا؛ ليَكُون أثقل فِي الْمِيزَان لم يُنكر ذَلِك[55].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- يُوضّح الحديث أن الله لا يقبل إلا الطيب من الأعمال، وهذا يُعتبر تأكيدًا على أهمية الكسب الحلال والبعد عن الكسب الحرام.

- والصدقة هنا تُعتبر كل ما يُخرجه الإنسان من ماله، بنية القربة إلى الله، سواء كانت زكاة واجبة أو تطوعًا. والمقصود بـ(عدل تمرة) هو ما يُعادل قيمة التمرة أو مثلها في القيمة أو المنظر، وهذا يُشير إلى أن الصدقة لا تُقاس بكميتها؛ بل بقيمتها ونيتها.

الدليل السابع:

عن سلمان قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ"[56].

والرباط وحراسة المسلمين من أعدائهم مهمة لا تقل عن الجهاد والقتال، بل إن النتيجة لها أعظم غالباً من الجهاد، فقد قيل: الوقاية خير من العلاج، ثم إن تعرض المرابط للخطر أشد من تعرضه للقتال، فكثيراً ما يكون المرابطون أقل عدداً وعدة عن العدو، وهو هدف محصور في مواجهته، من هنا كان الترغيب فيه بثواب أعظم، فالمجاهد الغازي، كالقائم الليل، الصائم النهار من حين يخرج إلى حين يعود، فيومه بصيام يوم، وليلته بقيام ليلة، أما المرابط، فيومه بصيام شهر، وليلته بقيام ليالي شهر، بل المرابط يضاف إلى عمله بعد موته استمرارية أجر المرابط ما شاء الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قوله: (وَإِنْ مَاتَ)، أي: المرابط، (جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ) في حياته؛ يعني: إن مات أو قُتِلَ في الغزو يُكتبُ له ثوابُ العمل الذي كان يعملُه في حياته؛ أي استمر متجدداً ثواب عمله الذي كان يعمله، كأنه يعمله فعلاً؛ لأنه كان يسعى في إحياء الدين، وقتْلِ أعداءِ الله، أي: لا ينقطع أجره وثوابه، (وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ)، أي: يُطْعَمُ من طعامِ الجنة، ويَشْربُ من شرابها، يستمر رزقه بعد موته، وذلك من رزق الجنة، (وَأَمِنَ الْفَتَّانَ)، وللفتن معانٍ كثيرةٌ، واللائقُ هنا أن تكون بمعنى الإحراقِ والتعذيب، أي: أمنَ من النار المحْرِقَة، أو من الزبانية الذين يعذّبون الكفار والفجار، أو من فتنة القبر؛ أي: عذابه، ويسهلُ عليه جوابُ المنكَرِ والنَّكير، وقيل: أراد به الدجال، وقيل: الشيطان، فإنه يفتن الناس بخدعه إياهم، وتزيين المعاصي لهم، وهذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله بعد موته فضيلة مختصة به، لا يشاركه فيها أحد، وقد

(55) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (8/ 269-270). شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان: (1/ 449-447).

(56) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1520) برقم: (1913).

جاء صريحاً في غير مسلم. أما إجراء الرزق، فهو موافق للشهداء، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران [169][57].

وعند البخاري: ''رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا''[58]، وعند أحمد: ''كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ''[59].

ولا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب، فتنقطع بانقطاعه؛ بل هي فضل دائم من الله تعالى، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة[60].

فإن قيل: هذا الحديث يعارض حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ''إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ''[61]، فكيف يُجمع بينهما؟ قلت: يُجمع بأن هذا الحديث مخصوص من عموم الحديث المذكور، فهو عامّ مخصوص بهذا الحديث وغيره، فلا تعارُض بينهما، والله تعالى أعلم[62].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- الحديث يُشير إلى فضل المرابطة في سبيل الله، ويُؤكّد على أن المرابط إذا مات استمر أجره، كما لو كان حيًا يعمل الأعمال الصالحة.

- يُشير الحديث إلى أن المرابط يُرزق في الآخرة من طعام الجنة وشرابها، ويُؤكّد الحديث على أن المرابطة وما يتبعها من أجر ورزق، هو فضل من الله، يُعطيه لمن يشاء.

- يُبيّن الحديث أن المرابط يُؤمن من الفتن بعد موته، سواء كانت فتنة القبر أو الفتن الأخرى التي قد تواجهه بعد الموت.

- يُشير الحديث إلى أن الأعمال الصالحة للمرابط، تنمو وتتضاعف إلى يوم القيامة، وهي غير موقوفة على سبب، فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى.

---

(57) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: (2/ 579-580). المفاتيح في شرح المصابيح: (4/ 337-338). فتح المنعم شرح صحيح مسلم: (7/ 584-585).
(58) أخرجه البخاري في صحيحه: (3/ 1059) برقم: (٢٧٣٥).
(59) أخرجه أحمد في مسنده: (39/ 374) برقم: (23951). التعليق: إسناده صحيح.
(60) ينظر: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: (6/ 288).
(61) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1255) برقم: (1631).
(62) ينظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم: (32/ 693-697).

المبحث الثالث: دراسة وتحليل أدلة اشتمال الأثر على الحسنات والسيئات في القرآن والسنة.

في هذا المبحث، يُقدم الباحث تحليلاً معمقًا لأدلة اشتمال الأثر على الحسنات والسيئات، مستندًا إلى خمسة أدلة محورية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكلها تُبين أن الأعمال لا تقتصر على آثارها المباشرة فحسب، بل تمتد لتشمل تأثيراتها على الآخرين، سواء كانت هذه الأعمال حسنة أو سيئة، وتُظهر أن الإنسان يتحمل مسؤولية أعماله المباشرة وغير المباشرة، وتُظهر كيف أن الأعمال الصالحة يمكن أن تُصبح سببًا في نيل الثواب المتواصل، وكيف أن الأعمال السيئة يمكن أن تُصبح عبئًا، يُثقل كاهل الإنسان بالإثم والعقاب.

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ ﴾ النحـــل [25].

والمعنى: أن كل من ابتدع شيئًا من الشر والإثم كان عليه وزر عمله، ومثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل إلى يوم القيامة، فهم يحملون وزر وذنوب أنفسهم ووزر وذنوب من أطاعهم واقتدى بهم، فما تولد عن فعل العبد يحصل له منه ثواب وعقاب، وإن لم يقصده؛ لأن الدال على الضلالة، إنما أَثِمَ بعمل العامل لها؛ لكونه الدال عليها، فإثمه لدلالته، وهي من عمله، فما أُخِذَ بعمل غيره ووزره، بل بعمله ووزره[63].

قال أبو السعود: "فإن جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له، وإنما الذي يصل إلى من يشفع، جزاء شفاعته، لا جزاء أصل الحسنة والسيئة، وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين، وما يحمله المضلون، إنما هو جزاء الإضلال، لا جزاء الضلال"[64].

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

- وفيها دليل على أن من أفتى بغير علمٍ، فعُمِل بفتواه كان إثم العامل عليه[65].

- وفيها دلالة على أن سعادة الناس وشقاءهم مرتبطة بأعمالهم، وأن العمل يؤثر في النفس، إما بالتزكية أو بالفساد. ولا ينتفع الإنسان ولا يتضرر بعمل الآخرين، ولكن إذا كان الفرد قدوة صالحة أو معلمًا، فإنه

(63) ينظر: جامع البيان: (14/ 199). الجامع لأحكام القرآن: (7/ 158). فتح البيان في مقاصد القرآن: (7/ 366). مجموع الفتاوى: (10/ 726). دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: (7/ 176). تفسير المراغي: (15/ 24). تفسير الشعراوي: (3/ 1535)، (14/ 8417-8418)، (18/ 11093).

(64) محاسن التأويل: (6/ 449).

(65) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: (2/ 53).

ينتفع بعمل من أرشدهم، والعكس صحيح لمن كان قدوة سيئة.

– وتبين الآية أن كل شخص سيحمل وزر أعماله السيئة كاملة يوم القيامة، بما في ذلك وزر الذين أضلوا الآخرين دون علم.

– وتُعلمنا الآية أن الإنسان يجب أن يكون حذرًا في أفعاله وأقواله، وأن يتجنب إضلال الآخرين أو الإفتاء بغير علم؛ لأن ذلك يُعرضه لحمل أوزار غيره، إضافة إلى أوزاره.

– وتؤكد الآية على أن كل فرد يتحمل مسؤولية أفعاله، وكذلك مسؤولية تأثير تلك الأفعال على الآخرين، سواء كان ذلك التأثير إيجابًا أو سلبًا.

الدليل الثاني:

قوله تعالى:﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾ العنكبوت [13].

والمعنى: أنهم يحملون أثقال أنفسهم؛ يعني آثام وأوزار خطاياهم بضلالهم، وأثقالًا مع أثقالهم؛ يعني أوزاراً مضافة إلى أوزار خطاياهم، مثل أوزار وآثام الذين دعوهم إلى الضلالة، فاتبعوهم عليها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أثقال وأوزار الذين اتبعوهم شيء؛ لأن من أغووهم فعليهم أوزار إغوائهم، فكانوا ضالين في أنفسهم مضلين لغيرهم(66).

عن قتادة: ''مَنْ دَعَا قَوْمًا إِلَى الضَّلَالَةِ، فَعَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا''(67)، وقيل: ''فيه وجهان، أحدهما: أنهم أعوان الظلمة، الثاني: أنهم أصحاب البدع إذا أُتبعوا عليها، الثالث: أنهم محدِثو السنن الجائرة، إذا عمل بها من بعدهم''(68).

الهدايات والدلالات المستنبطة من الآية:

– فيها دلالة على أن من كان السبب في الضلال أو في منع الهداية كان أكثر إثماً ووزراً وجرماً من الذين يتبعونه في الضلال، لأنه يُعد مصدر الضلالة والمسؤول عن نشرها.

– وفيها دلالة على أن الضالين لا يتحملون فقط ذنوبهم الشخصية، بل أيضًا ذنوب الذين أضلوهم، دون أن يُخفف ذلك من أوزار الضالين، ويُعد حمل الأوزار تمثيلًا للشقاء والعناء الذي سيواجهه الضالون

(66) ينظر: تفسير يحيى بن سلام: (1/ 59). معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (4/ 162). تأويلات أهل السنة: (8/ 213)، أحكام القرآن للجصاص: (4/ 354). تفسير الكشاف: (3/ 606). تفسير الخازن لباب التأويل: (3/ 455).

(67) تفسير ابن أبي حاتم: (9/ 3040).

(68) النكت والعيون: (4/ 278).

يوم القيامة.

- وفيها دلالة على أن الناس يوم القيامة، سيسألون عما كانوا يفترون، مما يُظهر أهمية الصدق والأمانة في الأقوال والأفعال.

الدليل الثالث:

عن المنذر بن جرير، عن أبيه؛ قال: كنا عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في صدر النهار، قال: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- لِمَا رَأَى بِهِمْ من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلال فأذّن وأقام، فصلى، ثم خطب، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ الى آخر الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ النساء [1]، . وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ۝١٨ ﴾ الحشر [18]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حَتَّى قَالَ- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقص من أوزارهم شيء"[69].

المعنى: أن (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً)، أي: أتى بطريقة مرضية يُقتدى به فيها، وإن لم يكن حسنها بالنص، بل بالاستنباط، بأن دعا لفعلها بقول أو فعل، أو أعان عليها، أو فعلها فاقتدي به في فعلها، (فَلَهُ أَجْرُهَا)، أي: أجر تلك السُّنَّة، أي: ثوابُ العمل بها. وفي نسخة: أجرُهُ، أي: أجر من سن، يعني أجر عمله، (وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ)، أي: وله مثل أجر من عَمل بتلك الحسنة من بعد ما سنها، سواء عُمِل بها في حياته، أو بعد موته. (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ)، أي: إن حصول أجر مثل الفاعل لها لدلالته عليها، لا يدخل به شيء من النقص في أجورهم. (وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً)، أي: بدعة مذمومة، أو معصية، وإن قلّت بأن فعلها فاقتُديَ به فيها، أو دعا إليها، أو أعان عليها، (كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا)، أي: عليه إثم تلك السيئة ووزرها، أي: عقاب العمل بها، (وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ)، أي: من جهة تبعيَّته؛ فله مثل إثم من عَمل بتلك السيئة من بعد ما سنها، سواء عُمِل بها في حياته أو بعد موته. (مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقص من أوزارهم شيء)، أي: إن حصول إثم مثل الفاعل لها لدلالته عليها، فعليه إثم الدلالة، وللفاعل إثم الفعل من غير نقصان؛ فلما انفكت جهة المباشرة عن جهة جزاء الدلالة لم ينقص أجر الدالّ من أجر المباشر شيئاً[70].

(69) أخرجه مسلم في صحيحه: (2/ 704) برقم: (1017).

(70) ينظر: شرح النووي على مسلم: (7/ 104). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (1/ 294). دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: (2/ 446-447). شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (2/ 344).

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

– فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات[71].

– وعلم من الحديث أن له من مضاعفة الثواب، بحسب مضاعفة أعمال أمته، ما لا يحيط به عقل، ولا يحده حد؛ وذلك أن له مثل ثواب أصحابه بالنسبة لما عملوه، وما دلوا عليه من بعدهم المضاعف لهم ثوابه إلى يوم القيامة، وهكذا في كل مرتبة من مراتب المبلغين عنه عند انقضاء الأمة، ومنه يعلم عظيم فضل كل أهل مرتبة المتضاعف، المتعدد بتعدد من بعدهم، فتأمله؛ لتعلم فضل السلف على الخلف، والمتقدمين على المتأخرين[72].

– وفي هذا الحديث الترغيب في فعل السنن التي أميتت، وتركت، وهجرت، فإنه يكتب لمن أحياها أجرها، وأجر من عمل بها، وفيه التحذير من السنن السيئة، وأن من سن سنة سيئة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة[73].

– يُشجع الحديث على العطاء والكرم، حتى لو كان بالقليل، مُظهرًا أن الصدقة يمكن أن تكون بأي شيء متاح، ويُذكّر الحديث بأن البشر جميعًا خُلقوا من نفس واحدة، مما يُعزز مفهوم الأخوة والتراحم بين الناس.

الدليل الرابع:

عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"[74].

والمعنى: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى) من أمر الله وأمر رسوله، أي: ما يهتدى به، ونكّره ليدخل فيه كل هدى، حتى آداب الطريق، وإماطة الأذى عنها، قال الطيبي: الهدى إما الدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد، وهو في الحديث ما يهتدى به من الأعمال، (كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ) في دعائه وإرشاده (مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ)؛ إذ الدال على الخير كفاعله، (لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ) الذي يعطاه من الأجر، (مِنْ أُجُورِهِمْ)، أي: المتبعين له (شَيْئًا)، ولذا كان المصطفى– صلى الله عليه وسلم– أعظم الناس أجرًا؛ لأنه ما من هدى إلا وهو الداعي إليه والدال عليه، وفيه فضل العلماء الداعين للعباد إلى الهدى، (وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ) ابتدعها، أو سبق إليها، أو دعا إليها (كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ) لتولد الضلالة عن فعله،

(71) ينظر: شرح النووي على مسلم: (7/ 104).
(72) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: (2/ 446).
(73) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (2/ 344).
(74) أخرجه مسلم في صحيحه: (4/ 2060) برقم: (2674).

وتولد أعمال الضالين عن دعائه، والعبد يثاب بالأسباب، ويعاقب عليها (لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) أي: المتبعين له، وجمع الضمير في أجورهم وآثامهم؛لأن في الغالب أن التابع جمع[75].

والهدى: هو العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من علّم علماً، أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم، فهو داع إلى الهدى، وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله، أو بحقوق الخلق العامة والخاصة، فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين، فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيره، فهو داع إلى الهدى، وكل من تقدم غيره بعمل خيري، أو مشروع عام النفع، فهو داخل في هذا النص، وعكس ذلك كله، الداعي إلى الضلالة، وكل من عاون غيره على البر والتقوى، فهو من الداعين إلى الهدى، وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان، فهو من الداعين إلى الضلالة[76].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

- فيه ترغيب عظيم في دعاء العباد إلى الخير، ودلالتهم عليه وهدايتهم إليه، وكما ورد: ''لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ''[77]، وفيه ترهيب بالغ في الدعاء إلى الضلال والبدع وكل خصلة تنافي أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[78].

- في هذا الحديث - وما أشبهه من الأحاديث- الحث على الدعوة إلى الهدى والخير، وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي، وعظم جرم الداعي وعقوبته[79].

الدليل الخامس:

عن عبد الله- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ''لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ''[80].

ولفظ مسلم: ''لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ''. وفي رواية: ''لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إلا كان على بن

(75) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: (1/ 133). التنوير شرح الجامع الصغير: (10/ 215-216).
(76) ينظر: بهجة قلوب الأبرار: (22-23).
(77) أخرجه البخاري في صحيحه: (3/ 1096) برقم: (٢٨٤٧). ومسلم في صحيحه: (4/ 1872) برقم: (2406).
(78) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير: (10/ 215-216).
(79) ينظر: بهجة قلوب الأبرار: (22-23).
(80) أخرجه البخاري في صحيحه: (3/ 1213) برقم: (3157). ومسلم في صحيحه: (3/ 1303) برقم: (1677).

آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا– لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا"[81].

قال النووي: "وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل من ابتدع شيئًا من الشر، كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل، مثل عمله إلى يوم القيامة، ومثله من ابتدع شيئًا من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة، وهو موافق للحديث الصحيح: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً"[82]، وللحديث الصحيح: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"[83]، وللحديث الصحيح: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ"[84]، والله أعلم"[85].

والكِفْل: النصيب والحظ والجزاء، ومنه قوله تعالى:﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ ﴿٨٥﴾ ﴾ النساء [85]، وهذا أصل في أن المعونة على ما لا يحل لا تحل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة [2]، وقد جعل الدال على الخير كفاعله، وهكذا الدال على الشر كفاعله. وقال الخليل: الكفل من الأجر، والإثم هو الضِعف[86].

والمعنى: (لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا) أراد به ابن آدم الأول: قابيل؛ فإنه قتل أخاه هابيل، وهو أول قاتل في العالم، ويدل هذا أنَّ قابيل أول ولد وُلد من آدم، ويعني: أن كل قتل باطل يجري بعد قابيل إلى نفخة الصور يكون لقابيل نصيب من ذلك الإثم[87].

الهدايات والدلالات المستفادة من الحديث:

– يُظهر الحديث أن الأفعال لها تأثيرات تمتد عبر الأجيال، ويُؤكد على مبدأ المسؤولية الأخلاقية الذي يتحمله الفرد عن أفعاله، ويُشير إلى أن هذه المسؤولية تتعدى الفرد؛ لتشمل الآخرين الذين يتبعون سلوكه.

– يُلقي الحديث الضوء على كيفية تأثير الأفعال الأولى في التاريخ على الأجيال اللاحقة، مُشيرًا إلى أن السلوك السيئ يمكن أن يُصبح نموذجًا يُحتذى به بشكل سلبي.

– يُقدم الحديث تحليلًا للعلاقة بين السنن (الممارسات الحسنة)، والبدع (الممارسات السيئة)، مُشيرًا إلى أن السنن الحسنة يكافأ عليها، بينما البدع يعاقب عليها.

(81) أخرجه البخاري في صحيحه: (6/ 2669) برقم: (6890).
(82) أخرجه مسلم في صحيحه: (2/ 704) برقم: (1017).
(83) أخرجه مسلم في صحيحه: (3/ 1506) برقم: (1893).
(84) أخرجه مسلم في صحيحه: (4/ 2060) برقم: (2674).
(85) شرح النووي على مسلم: (11/ 166).
(86) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: (5/ 478). التوضيح لشرح الجامع الصحيح: (19/ 288)، (33/ 96).
(87) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح: (1/ 312).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات:

في ختام هذا البحث، يلخص الباحث أبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها:

أولاً: النتائج:

1- تبين بعد دراسة وتحليل النصوص الحديثية- مع كثرتها- أنها تركز على أربعة أبواب أو مجالات رئيسة؛ لتحقيق حياة الأثر، وهي: الصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح، والرباط في سبيل الله، والتي تُمثل بدورها: التنمية، والتعليم، والتربية، والتضحية، ويدخل تحت كل بابٍ مجموعة من الأعمال.

2- أكدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن آثار الأعمال تشمل الحسنات والسيئات، وأن الأجر والوزر لا ينتهيان بموت الإنسان، بل يستمران مع استمرارية الأثر.

3- أن الله خلقنا للخلود، وما الحياة الدنيا إلا محطة مؤقتة لرحلة الخلود الأبدي في الدار الآخرة.

4- أن حياة الأثر تتسم بالعمق والاتساع الزماني والمكاني مقارنةً بحياة القدر المحدودة.

5- أن آثار الأعمال الصالحة، تُسهم في رفعة الإنسان في الآخرة، بينما آثار الأعمال السيئة، تُثقله بالإثم.

6- أن الأثر يُمكن أن يكون مصدرًا للخير العظيم أو الشر الواسع، والعاقل هو من يخطط لأثره بحكمة.

ثانياً: التوصيات:

1- إنشاء مشاريع تنموية مستدامة، تُسهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتُشجع على الاستثمار في الصدقات الجارية، ومن ذلك إنشاء وقف إسلامي عالمي، باسم "وقف حياة الأثر"؛ لتحفيز المسلمين على صناعة آثار صالحة ومستمرة.

2- إطلاق حملات توعية، تُركز على أهمية ترك أثر إيجابي في الحياة، مُشددةً على الصدقة الجارية، العلم النافع، التربية الصالحة، والتضحية في سبيل الله.

3- تطوير برامج تعليمية وتربوية، تُركز على تنمية الأفراد، وتحفيزهم على الإسهام في المجتمع، بأعمال تُسهم في حياة الأثر.

4- تشجع البحث العلمي في مجالات، تُسهم في تحقيق النفع العام، وتُعزز من العلم النافع الذي يُستفاد منه على نطاق واسع.

5- ترويج ثقافة التضحية والإيثار، وتشجيع الأفراد على الرباط في سبيل الله، والمشاركة في الأعمال التي تُعود بالنفع على الأمة الإسلامية.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله أثراً صالحاً مستمراً أنتفع به في حياتي وبعد مماتي.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن العربي، محمد بن عبد الله(1992م)، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
3. ابن العربي، محمد بن عبد الله (2003م)، أحكام القرآن. ط3، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (1987م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت، لبنان: دار المعرفة.
5. ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري، (2004م). البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير. الرياض، السعودية: دار الهجرة.
6. ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري (2008م)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دمشق، سورية: دار النوادر.
7. ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي(1995م)، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
8. ابن باديس، عبد الحميد محمد (1968م)، آثار ابن باديس. الجزائر: الشركة الجزائرية.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1995م)، مجموع الفتاوى، المدينة النبوية، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
10. ابن حنبل، الإمام أحمد (2001م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
11. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي.
12. ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي، (2000م)، المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
13. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
14. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، (1978م)، غريب القرآن، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
15. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (1419هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
16. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.
17. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ). لسان العرب. ط3، بيروت، لبنان: دار صادر.
18. ابن موسى، محمد بن علي بن آدم (2006م)، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه. الرياض، السعودية: دار المغني.
19. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
20. الإتيوبي، محمد بن علي(1436هـ)، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الرياض، السعودية: دار ابن الجوزي.
21. الأزدي، مقاتل بن سليمان بن بشير. (1423هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث.
22. الأصبهاني، محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (2001م)، درة التنزيل وغرة التأويل، مكة المكرمة، السعودية: جامعة أم القرى.

23. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1423هـ)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. ط4، السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
24. الألباني، محمد ناصر الدين(1995م)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
25. الألباني، محمد ناصر الدين(2000م)، صحيح الترغيب والترهيب، الرياض، السعودية: مكتبة المعارف.
26. الإلبيري، محمد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين، (2002م)، تفسير القرآن العزيز، القاهرة، مصر: الفاروق الحديثة.
27. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (1420هـ)، البحر المحيط في التفسير، بيروت، لبنان: دار الفكر.
28. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1993م). صحيح البخاري، ط5، دمشق، سورية: دار ابن كثير.
29. البصري، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (2004م)، تفسير يحيى بن سلام، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
30. البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، (1420م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
31. البكري، محمد علي بن إبراهيم. (2004م)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، لبنان: دار المعرفة.
32. البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله (2012م)، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
33. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (1975م) سنن الترمذي، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
34. التُستري، سهل بن عبد الله(1423هـ)، تفسير التستري، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
35. التميمي، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، (2003م)، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ط5، مكة المكرمة، السعودية: مكتبة الأسدي.
36. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (1418هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
37. الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، (2015م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، جدة، السعودية: دار التفسير.
38. الجرجاني، علي بن محمد بن علي(1983م)، التعريفات، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
39. الجصاص، أحمد بن علي (1405هـ)، أحكام القرآن، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
40. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم(1415هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
41. الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله(٢٠١٨م)، توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، السعودية: مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.
42. الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء (1979م)، مقاييس اللغة، دار الفكر.
43. الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس(1419هـ)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ط3، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.
44. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
45. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. (1988م)، معاني القرآن وإعرابه. بيروت، لبنان: عالم الكتب.

46. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله(1407هـ)، تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل). ط3، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
47. السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم.
48. السندي، محمد بن عبد الهادي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه). بيروت، لبنان: دار الجيل.
49. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
50. الشعراوي، محمد متولي(1997م). تفسير الشعراوي، مصر: مطابع أخبار اليوم.
51. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار(2019م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ط5، الرياض، السعودية: دار عطاءات العلم.
52. الشيبانيّ، يحيى بن هبيرة الذهلي(1417هـ)، الإفصاح عن معاني الصحاح، دار الوطن.
53. الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير. (1433هـ)، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، ط3، السعودية: دار ابن الجوزي.
54. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح. (2011م)، التنوير شرح الجامع الصغير، الرياض، السعودية: مكتبة دار السلام.
55. الطبري، محمد بن جرير بن غالب. (2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجيزة، مصر: دار هجر.
56. العباد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن، شرح الأربعين النووية.
57. العباد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن، شرح سنن أبي داود.
58. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1426هـ)، شرح رياض الصالحين، الرياض، السعودية: دار الوطن.
59. العزيزي، علي بن الشيخ أحمد بن إبراهيم، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير.
60. العسكري، الجزائري، أبو هلال، نور الدين نعمة الله (1412هـ)، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، وجزءًا من من كتاب (فروق اللغات) لنور الدين بن نعمة الله الجزائري، قُم، إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
61. العيني، محمود بن أحمد الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
62. الغنيمان، عبد الله بن محمد (1405هـ)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. المدينة المنورة، السعودية: مكتبة الدار.
63. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. العين، دار ومكتبة الهلال.
64. الفوزان، عبد الله بن صالح(1435هـ)، منحة العلام في شرح بلوغ المرام، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
65. الفيومي، حسن بن علي بن سليمان البدر (2018م)، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري.
66. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (1418هـ)، محاسن التأويل، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
67. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري(1964م). الجامع لأحكام القرآن، ط2، القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.
68. القشيري، مسلم بن الحجاج(1955م)، صحيح مسلم. القاهرة، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

69. القصَّاب، أحمد محمد بن علي بن محمد (2003م)، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، دار القيم.
70. القِنَّوجي، محمد صديق خان الحسيني (1992م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
71. الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي (1416هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، لبنان: دار الأرقم.
72. لاشين، موسى شاهين (2002م)، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مصر: دار الشروق.
73. الماتريدي، محمد بن محمود (2005م)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
74. الماوردي، علي بن محمد البغدادي، النكت والعيون، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
75. المباركفوري، عبيد الله بن محمد. (1984م)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط3، الجامعة السلفية، الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء.
76. المجددي، محمد عميم الإحسان. (٢٠٠٣م)، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية.
77. المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م)، تفسير المراغي، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
78. المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن. (2012م)، المفاتيح في شرح المصابيح، الكويت: دار النوادر.
79. المغربي، الحسين بن محمد. (1994م)، البدر التمام شرح بلوغ المرام. الجيزة، مصر: دار هجر.
80. المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين. (1988م)، التيسير بشرح الجامع الصغير، ط3، الرياض، السعودية: مكتبة الإمام الشافعي.
81. نخبة من اللغويين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1972م)، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، مصر: مجمع اللغة العربية.
82. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (2001م)، السنن الكبرى، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
83. النسفي، عمر بن محمد بن أحمد. (2019م)، التيسير في التفسير، إسطنبول، تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث.
84. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، ط2، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
85. النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله، (1990م)، المستدرك على الصحيحين، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
86. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. (2001م)، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، بيروت، لبنان: دار طوق النجاة.
87. الواحدي، علي بن أحمد. (1430هـ)، التفسير البسيط، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
88. اليحصبي، عياض بن موسى. (1998م)، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، مصر: دار الوفاء.